

## الفصل الثاني

### السنوات الأولى من إصلاح مييجي

#### ١ - مصير يوشينوبو والحرب الأهلية:

عرفنا فيما سبق كيفية نهاية الحكومة العسكرية في إيدو وذلك بصدور الأمر الإمبراطوري بإلغاء الباكفو وملحقاتها في ٩ ديسمبر من عام ١٨٦٧م، وقبل ذلك بأقل من شهرين كان الشوجون الأخير يوشينوبو قد تخلى بمحض إرادته عن السلطة لتكون في يد الإمبراطور. وهكذا كان يمكن أن تمر الأمور بسلام لولا أن جناح الصقور المتمثل في محاربي ساستوما وتشوشو أبوا أن تمر الأمور بسلاسة ويسر. هذا إلى جانب أن اغتيال المناضل من أجل وحدة ومستقبل اليابان ساكاموطو ريوما وزميل كفاحه ناكا أوكا شينتارو Nakaoka Shintaro (١٨٣٨م - ١٨٦٧م) على يد فرقة مسلحة تابعة للباكفو في نوفمبر ١٨٦٧م، اعتبر كندير شؤم لكي يبدأ العصر الجديد بحرب أهلية، وليس بسلام وأمان كما أراد رسول السلام الياباني ريوما.

كان من المعتقد ومن المتوقع بعد أن ترك يوشينوبو السلطة بمحض إرادته للإمبراطور أن يحتفظ بمنصبه كمساعد للإمبراطور، وأن تحتفظ عائلة طوكوجاوا بملكاتها التي تصل قيمتها إلى ٧ ملايين جوكو من الأرز (الجوكو = ١٨٠ لتراً) وهي بالطبع ممتلكات ضخمة جداً. بل كان من المتوقع بشدة أن يصل يوشنوبو إلى منصب الدايميو الأكبر بعد هذه الخطوة السلمية التي قام بها إلا أنه على الرغم من ذلك فقد صدر في اليوم نفسه الذي صدر فيه إعلان نهاية الحكومة العسكرية (الباكفو) الأمر بإبعاد يوشينوبو عن منصب (ناي دايجين) أي مساعد الإمبراطور، وصدر أيضاً الأمر بسحب كل ممتلكات الشوجون وعائلته وهكذا تم استبعاد بل طرد يوشينوبو من كل مناصبه بالتخطيط ما بين قواد ساستوما والنبييل إيواكورا طومومي برغم معارضة قادة مقاطعة طوسا لهذه الإجراءات أشد المعارضة فإن الأمور سارت كما أرادت ساتوسوما تماماً.

ولكن يبدو أن طول فترة حكم أسرة الطوكوجاوا قد جعل منها تابوها يتغلغل في نفوس اليابانيين؛ فقد ثارت عدة مقاطعات على ساتوسوما. ومن أكثر المقاطعات معارضة لساتوسوما

كانت كل من أيزو (محافظة فوكوشيما) وكووانا Kuwana (محافظة ميبى) لهما موقف متشدد. فقد انضم محاربو المقاطعتين إلى جانب يوشينوبو.

كان يوشينوبو وجنوده قد انسحبوا من العاصمة كيوطو إلى أوساكا فى نهاية عام ١٨٦٧م، وعندما حدث ما حدث من ساستوما وتشوشو من إيذاء ليوشينوبو فما كان منه ومن خلفائه إلا أن ساروا نحو كيوطو فى جيش عرمرم قوامه ١٥ ألف جندى فى الأول من يناير ١٨٦٨م. وحدث التصادم بين الجانبين فى الثالث من يناير عند مدينتى طوبا وفوشيما اللتين كانتا تقعا عند المدخل الجنوبى من العاصمة كيوطو.

وعلى الرغم من أن جيش الإمبراطور الذى يمثل العمود الفقرى له جيش ساتسوما لم يتجاوز عدد جنوده خمسة آلاف جندى وهو بذلك يمثل ثلث عدد الجانب الآخر، فإن جيش يوشينوبو الذى كان يتكون من عدة مقاطعات فقد ولاءه لقيادته، فتلقى هذا الجيش العرمرم هزائم متتالية بشكل لم يكن متوقفاً على الإطلاق. وإلى جانب عدم الولاء والأسلحة القديمة والقواد العسكريين ذوى الخبرة الضحلة والطرق الحربية العقيمة. إلى جانب كل ذلك كان للإعداد الجيد الذى قامت به مقاطعة ساستوما أثره البالغ فى هزيمة معسكر يوشينوبو، وهكذا بدأت حرب البوشين، وهى مجموعة المعارك التى تشارك فيها جيش الباكفو ضد جيش الحكومة الجديدة بدأت بهزيمة جيش الباكفو وانتهت أيضاً بهزيمته فى النهاية أمام جيش حكومة ميجى. ومن الجدير بالذكر أن كلمة بوشين تعنى اسم العام الذى امتدت على مداره هذه المعارك المتتالية.

بعد انتصار جيش الإمبراطور الذى اشتركت فيه نحو عشرين مقاطعة، ولكن أكبر ثلاث مقاطعات اشتركت فى هذا الجيش كانت بالطبع ساستوما وتشوشو وطوسا. نقول بعد انتصار هذا الجيش فى موقعى طوبا وفوشيما تقدم هذا الجيش بقيادة الأمير ناروهيتو حاملاً أعلام الإمبراطورية نحو إي دو عاصمة الباكفو.

وفى هذه الأثناء اتخذت عدة إجراءات لإضعاف الباكفو تماماً سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية، فكما ذكرنا أيضاً فقد تم وضع ممتلكات الباكفو وأسرة الطوكوجاوا تحت الإدارة المباشرة للبلاط الإمبراطورى وذلك فى بداية العام الجديد، ثم انتزعت الإجراءات الدبلوماسية لتصبح فى يد الإمبراطور فأصبح مثول القناصل وإتمام المراسم أمام الإمبراطور وليس أمام الشوجون. وبذلك أصبحت الحكومة الشرعية والرسمية أمام الدول الأجنبية

هى الحكومة الجديدة أو بالأحرى حكومة الإمبراطور، كل هذه الإجراءات وغيرها أقتعت مقاطعات الغرب وحكامها بالخضوع للحكومة الجديدة، وهذه المقاطعات وعلى الأخص مقاطعة أوساكا لها أهمية شديدة نظراً لثقلها الإقتصادى وذلك لوجود كبار التجار وكذلك كبار ملاك الأراضى بها.

وفى الحقيقة لم يكن كبار التجار وكبار الإقطاعيين يؤيدون الحكومة الجديدة فى البداية لقناعتهم أن تقويض النظام القديم الذى بنوا على أساسه ثرواتهم وحصلوا على سطوتهم فى ظله لن يكون فى صالحهم على الإطلاق. ونظراً لإحكام السيطرة الاقتصادية والسياسية على هذه المقاطعات من قبل الحكومة الجديدة جعلهم لا يجدون مفرّاً من تأييدها. وهذا بالطبع كان مهماً جداً لتعزيد موقف الحكومة الجديدة، مما جعل جيشها يتقدم نحو عاصمة الباكفو «أيدو» بكل الثقة فى تحقيق النصر. وهنا نذكر القارئ بأن عاصمة اليابان التقليدية كانت كيوطو حيث كان يمكث الإمبراطور وكانت أيدو هى مقرّاً أو بالأحرى عاصمة الشوجونية، وفى الحقيقة أنه إذا ما كان كبار التجار والإقطاعيين لم يرحبوا فى بادئ الأمر بالحكومة الجديدة، فإن الذى أحرزه جيش الحكومة الجديدة من انتصار على جيش الباكفو فى موقعتى طوبا وفوشيمى قد أسعد عامة الشعب فى مدينتى كيوطو وأوساكا، واستقبلا هذا النصر بكل الترحيب والسعادة. وهذا الموقف المرحب بجيش الحكومة الجديدة من جانب أهالى كيوطو وأوساكا يظهر بوضوح فى ذلك الخطاب الذى أرسله أهم قواد الحكومة الجديدة وهو سايجو تاكامورى - إلى ذويه فى كاجوشيما:

حيث ذكر ما يلى :-

«منذ معركة يوم الثالث من يناير لم يحدث أن هزمتنا ولو هزيمة واحدة، فقد انتصرنا فى كل المعارك، وأنا لم أشاهد فى حياتى مثل هذا. فعلى الرغم من كثرة البيوت المحترقة فى فوشيمى وما حولها فإن جنود ساتسوما وتشوشو قوبلوا بالترحيب من الكبار والصغار والرجال والنساء، وخرج الجميع إلى الطرقات يوجهون الشكر لهم ويصلون من أجلهم. وقد كان هناك كثيرون يتقدمون نحونا ويعطوننا المأكولات والخمر. إنه لشيء مبهج لى حقاً.»

هكذا استقبل عامة الناس العصر الجديد بكل الترحاب والتهليل لأنهم اعتقدوا بقوة أنهم سوف يتخلصون من استبداد العسكر الذين حكموا البلاد لعشرات السنين، واعتقدوا

أيضاً أن العهد الجديد سوف يجلب لهم السعادة والهناء، فهل تحقق لهم هذا بالفعل؟؟ هذا ما سوف نراه مع أحداث العهد الجديد.

كانت نتيجة الانتصار فى موقعتى طوبا وفوشيمي باهرة؛ حيث أصبح يطلق على هذا الجيش الذى أحرز النصر لقب «Kangun» أى جيش الإمبراطور، ولأن مكانة الإمبراطور الروحية فى اليابان لايمكن تجاهلها فقد انضمت مقاطعات عديدة لهذا الجيش ما أدى إلى زيادة عدد جنوده إلى ما يزيد على خمسين ألف جندى. كذلك فإن مازاد من موقف جيش الباكفو القديم حرجاً أن أطلق على أية قوة تعارض وتواجه جيش الحكومة الجديد لقب «عدو الإمبراطور».

على أية حال، انطلق هذا الجيش العظيم نحو أيدو فى ثلاثة محاور أو ثلاثة طرق رئيسية. وعلى الرغم من هذا العدد العظيم لجنوده أو بالأحرى بسبب هذا العدد العظيم قابل جيش الإمبراطور مصاعب عديدة من بينها قلة الاعتمادات المالية، إلا أن هذه المشكلة تم التغلب عليها فيما بعد بفضل مساعدات تجار أوساكا الكبار، ولكن كانت هناك مشكلة أخرى وهى عدم استطاعة الحكومة الجديدة السيطرة على هذه الأعداد الكبيرة من الجنود التى اجتمعت من كل حذب وصوب. ولاسيما أنه كانت هناك فرق كثيرة تتبع عدة جهات ولكل فرقة طريقتهما فى الحرب وفى طرق جذب الفلاحين. ومن أشهر هذه الفرق التى سببت اضطراباً كبيراً للحكومة الجديدة هى فرقة «سيكى هوتاى Sekihōtai» وقد سبقت هذه الفرقة جيش الإمبراطور إلى إيدو، وكان أحد أدوارها هو اجتذاب الفلاحين. ومن أجل هذا الهدف أشاعت هذه الفرقة فى الفلاحين أنهم سوف يعفون من نصف الضرائب العينية التى يدفعونها للحكومة ذلك العام (١٨٦٨م) وربما فعلت هذه الفرقة هذا تعاطفاً مع الفلاحين نظراً لأن معظم أعضائها من الفلاحين.

وبالطبع فرح الفلاحون أيما فرح نظراً لأن هذه الضرائب كانت تثقل كاهلهم، ولكن هذا العمل أربك سياسة الحكومة الاقتصادية. وهنا ولكى تتهرب الحكومة من هذه المسؤولية أعلنت أن فرقة السيكي هوتاى ما هى إلا فرقة إمبراطورية مزيفة ولا يعتد بوعودها ثم ألغت هذا الإعفاء ولم تترك الحكومة الجديدة زعماء هذه الفرقة دون عقاب رادع، فقامت بإعدام زعيمهم صاجارا صوظو Sagara Sōzō (١٨٣٩م - ١٨٦٨م) ومعه ما يقرب من ستين فرداً من أتباعه وجنوده بالقرب من بحيرة سوا Suwako الواقعة فى محافظة ناجانو، وذلك

فى بداية شهر مارس ١٨٦٨م. وأصبح بذلك صاجارا وجنوده الذين طالما كافحوا من أجل إعلاء كلمة الحكومة الجديدة أصبحوا هم أول ضحاياها، وفعلت الحكومة بهم كما تفعل الثورات فكان أول ضحاياها هم أبناءها.

كانت تلك هى أول خطايا حكومة النهضة الجديدة، فلم يتسع صدرها لخطأ ارتكبتة فرقة عسكرية عملت من أجلها كثيراً. والحقيقة أن ما فعلته فرقة السيكي هوطاى لم يكن بالخطأ التام. فقد تعاطفت هذه الفرقة مع الفلاحين لسببين أولهما أن نحو ثلثى أعضائها كانوا من الفلاحين، وثانيهما أنها كانت ترمى بذلك إلى طمأنة الفلاحين والمواطنين على أرزاقهم فيقومون بمضاعفة الإنتاج. وإلى جانب ذلك كان لهذه الفرقة أعمال وإنجازات أخرى فقد كانت تسبق جيش الحكومة إلى مختلف المقاطعات وتقوم بالتفاوض معهم وتجعلهم يؤيدون يمين الولاء للحكومة الجديدة، بل إنها كانت تحصل منهم على الأسلحة والأموال والمؤن. ورغم ذلك حدث ما حدث لصاجارا وصحبه، ثم ذاق الفلاحون اليابانيون المر على يد الحكومة الجديدة مما سيجعلهم يثورون ويعضبون ويسببون للحكومة الجديدة المشاكل كما سوف نعرض لها فيما بعد.

هكذا بدأ عصر النهضة فى اليابان بالضغط على أبنائه وظلمه إياهم، وكذلك بالضغط على الفلاحين البؤساء الذين تصوروا أن نهاية عذابهم قد جاءت بنهاية عصر الطوكوجاوا، إلا أن أحلامهم هذه ذهبت سدى واستمرت معاناتهم كذلك فى عصر النهضة مما سيجعلهم يثورون على النظام الجديد كما ذكرنا. وكأن التاريخ يعيد نفسه فى مكان يبعد عن مصر بآلاف الكيلومترات ويبعد زمنياً عن حقبة النهضة المصرية التى قامت فى عهد محمد علي ومن أجل حلمه ونهضته. إلا أن الحق يقال إن الفرق فى تعامل الفلاح اليابانى كان مختلفاً إلى حد كبير عن تعامل الفلاح المصرى فى مواجهتهما لظلم الحكومة وتعسفها. فالأول كان إيجابياً يثور فى وجه الحكومة الجديدة، والثانى كان سلبياً إلى حد بعيد فى مواجهة جبروت محمد علي وأعوانه، وقد عالجتنا هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابنا السابق «محمد على باشا والإمبراطور ميچى ما لهما وما عليهما».

ولم تقتصر متاعب الحكومة الجديدة على مقاومة جيش الباكفو ومشاغبات الحركات العسكرية التى كانت موالية لها ثم اختلفت معها فى أيديولوجية الحركة، بل تعدت هذه المتاعب لتشمل أيضاً الثورات والهوجات التى قام بها الفلاحون ضدها؛ ففي شهر فبراير

١٨٦٨م وعندما أحس جموع القرويين أن مركز الحكومة الجديدة أصبح مهتزاً فحاولت استغلال هذا الموقف من أجل الضغط عليها فقاموا بهوجات وثورات فى جميع أنحاء البلاد تقريباً، والغريب أن هذه الثورات لم تقتصر على المقاطعات التى عارضت الحكومة الجديدة فقط بل انتشرت أيضاً فى المقاطعات التى أيدت أيضاً الحكومة.

وعندئذ ظهرت خاصية حب الوطن التى تميز القاده اليابانيين؛ ففى خضم الحرب الأهلية والثورات الريفية بزغت أصوات من كلا المعسكرين: معسكر البلاط الإمبراطورى أو الحكومة الجديدة ومعسكر الباكفو، ونادت هذه الأصوات بالتغلب على الفرقة بين المعسكرين حتى لا تهتمر هذا الدول الأجنبية وتتدخل فى شئون اليابان الداخلية. وفى هذا الصدد بعث القائد العام لجيش طوكوجاوا كاتسوكاى شو (١٨٢٣م - ١٨٩٩م) Katsukai - Shu خطاباً وجهه لقائد جيش الحكومة الجديدة وهو سايجو تاكامورى Saigo Takamori يحذر فيه من عواقب استمرار الحرب الأهلية وهوجات الفلاحين فى كل أنحاء البلاد. وكان أبرز ما جاء فى خطاب كاتسوكاى شو ما يلى:

«لقد عمت ثورات وهوجات الفلاحين جميع أنحاء المناطق الشرقية وفى مقدمتها أيدو. وأصبح كما لو كانت الأمور خرجت عن الإمسك بها. وأصبح من الممكن للدول الأجنبية أن تنقض على اليابان لو أرادت ذلك، وفى مثل هذه الظروف يصبح من غير المقبول أن تنقسم البلاد إلى معسكرين بسبب النزاع ما بين فريق الطوكوجاوا وفريق ساتسوما. ويصبح علينا أن نتفادى بكل الطرق حدوث حرب بين المعسكرين فى أيدو.

وفى الحقيقة لم يكن هذا الذى ذكرناه آنفاً هو رأى كاتسوكايشو فقط بل كان أيضاً هو نفس وجهة نظر المعسكر المقابل وكان فى طليعة هؤلاء رجل البلاط الشهير إيواكورا طومومى، وهكذا نرى مدى عقلانية القواد فى كلا المعسكرين. وبالفعل أدى هذا التفاهم المتبادل بين الطرفين إلى اجتماع كاتسوكايشو من معسكر طوكوجاوا وساجو من معسكر الحكومة الجديدة فى ١٤ مارس، وذلك فى مقر مقاطعة ساشوما بأيدو واتفق الطرفان على أن توقف الحكومة الجديدة هجومها الشامل على أيدو الذى كان مقرراً له يوم ١٥ مارس، وفى مقابل ذلك يتقاعد كل أفراد عائلة الطوكوجاوا وكذلك الشوجون يوشينوبو عن ممارسة السياسة والحكم إلى جانب تسليمهم قلعة أيدو إلى جيش الحكومة وكذلك تسليمهم كل الأسلحة التى فى حوزتهم إلى الطرف المقابل.

وبالفعل ترك الشوجون الخامس عشر والأخير يوشينوبو معبد كانئي جي Kaneigi الذى كان يمكث فيه بعد تركه لقلعة أيدو متوجهاً إلى مسقط رأسه فى ميتو وذلك فى ١١ إبريل، وتم تسليم قلعة أيدو أيضاً وبدون أدنى مقاومة إلى الجيش الإمبراطورى فى ذلك اليوم نفسه. وإذا كنا قد ذكرنا أن الخوف على مصير اليابان من تدخل القوى الكبرى فى أمورها الداخلية هو الذى جعل قادة اليابان آنذاك من المعسكرين ينهون أزمة نهاية عصر الطوكوجاوا بسلام وألا يقدموا على معاقبة الشوجون الأخير وعشيرته، فهذا لا يعنى أنه لم تكن هناك عوامل أخرى أدت إلى تلك النتيجة. فقد كان للدور الإنجليزي وعلى الأخص الدور الذى لعبه القنصل الإنجليزي فى اليابان آنذاك باركس (Harry Sanith Parkes) (١٨٢٨م - ١٨٨٥م) تأثيره الواضح من أجل تفادى الصدام ما بين المعسكر الإمبراطورى ومعسكر الباكفو. فقد عارض باركس الاتجاه الذى كان يؤيد معاقبة الشوجون يوشينوبو وذلك فى لقاءه مع ممثل سايجو تاكامورى زعيم المعسكر الإمبراطورى قبيل اعتزام سايجو اقتحام قلعة أيدو. وكان رأى باركس أنه ليس من الأخلاق فى شىء معاقبة يوشينوبو على الرغم من إعلانه الولاء للإمبراطور، ونحن هنا لا نستطيع منع القارئ الكريم من إبداء دهشته لموقف باركس هذا لأن إنجلترا طالما ناصبت معسكر الباكفو العداء.

ولكن إذا عرفنا السبب الحقيقى من إبداء باركس لهذا رأى فسوف يزول عجبنا ودهشتنا؛ فقد خشى باركس من أن اندلاع الحرب بين المعسكرين فى أيدو وما حولها وخاصة يوكوهاما وما سوف يعرض حياة الأجانب الذين يسكنون هذه المنطقة، إلى جانب تعريض تجارة الإنجليز المزدهرة فى يوكوهاما للخسارة الكبيرة. وفى الحقيقة فإن العديد من المؤرخين والباحثين يرون فى السبب الثانى أهمية وتأثيراً أكبر من السبب الأول فى تحديد مصير يوشينوبو وعائلته وحاشيته. وكذلك فى تسليم قلعة أيدو بلا إراقة دماء.

## ٢ - إعلان المبادئ الخمسة الأساسية لعصر مي جي:

لم يقتصر نشاط الحكومة الجديدة على إقصاء آخر شوجون والهجوم على أيدو فقط بل كانت هناك جهود حقيقية لتغيير وجهة المجتمع اليابانى بصفة شاملة. ولذلك أعلنت الحكومة الجديدة المبادئ الأساسية الخمس من أجل إصلاح سياسة الدولة ومجتمعها، وذلك فى ١٤ مارس.

وجاءت المبادئ الخمس كالآتي:

- ١ - إقرار الأمور المهمة بعد استشارة وسماع العديد من وجهات النظر.
- ٢ - تدار شؤون البلاد من خلال اتحاد مختلف القوى سواء أكانت كبيرة أم صغيرة.
- ٣ - على الجميع سواء أكانوا نبلاء أم فرسان أم مواطنين أن يجمعوا قواهم وأن يمتلكوا دائماً إحساساً وشعوراً متجددين.
- ٤ - على الجميع تغيير العادات القديمة السيئة، والتعامل مع العالم الخارجى على أسس القانون الدولى (أى بمعنى أنه يجب نبذ والغاء القوانين اليابانية التى تتناقض مع القوانين الدولية).

٥ - إدخال المعارف من مختلف البلاد الأجنبية وتطوير اليابان إلى أقصى درجة. وكانت الحكومة الجديدة قد أعلنت هذه المبادئ الخمسة قبل الميعاد المحدد للهجوم على أيدو بيوم واحد، أى فى الرابع عشر من مارس. وقد قصدت من ذلك تثبيت الجبهة الداخلية من ناحية، وتحسين صورة اليابان أمام الأجانب من ناحية أخرى. ففى الناحية الداخلية أرادت الحكومة الجديدة من وراء المبادئ الخمسة إنجاح مساعيها من أجل إسقاط الباكفو، فكان لا بد لها من تجميع كل القوى من أجل هذا الهدف.

كذلك كان لا بد من إصدار هذه المبادئ الخمسة لتعميق المناقشات العامة أو بالأحرى ما يطلق عليه الممارسات الديموقراطية الآن. أما من الناحية الخارجية، فقد واجهت الحكومة الجديدة عدة مشاكل عويصة تجاه الدول الغربية أقضت مضاجعها؛ ففى ميناء كوبي تصادم جنود مقاطعة بيزن (أوكاياما) بالمدفعية ضد الجنود الأجانب، فيما عرف بحادثة كوبي Kōbe Jiken، التى حدثت فى شهر يناير ١٨٦٨م وفى هذه الحادثة جرح عدد من الجنود الأوربيين والأمريكيين. وقد ردت القوات الغربية بإطلاق النيران على جنود مقاطعة أوكاياما. بل قامت باحتلال المناطق التى يسكن بها الأجانب، التى اشتهرت بها مدينة كوبي منذ ذلك الزمن من القرن التاسع عشر. وهنا حاولت الحكومة الجديدة إرضاء الدول الأجنبية، فقامت بإرغام المسئول عن هذه الحادثة بالانتحار بعد أقل من شهر واحد من هذه الواقعة.

ولم تكن حادثة كوبي هى الوحيدة فى الاصطدام بالأجانب بل كانت هناك حادثة أخرى أعنف تعرف بحادثة «ساكاي Jiken Sakai» وقد وقعت بعد شهر واحد من حادثة كوبي

أى فى فبراير عام ١٨٦٨م وفى هذا الحادث أوقع جنود مقاطعة طوسا المتمركزين فى مدينة ساكاي الساحلية خسائر كبيرة فى جنود الأسطول الفرنسى عندما هبط هؤلاء الجنود على أرض ميناء ساكاي. فقد تم قتل ١١ جندياً فرنسياً فى هذه الواقعة الخطيرة التى أظهرت بأس اليابانيين وعنادهم على الرغم من الفجوه الواضحة بين قوتهم وقوة الغرب العسكرية. وبالطبع أقامت فرنسا الدنيا ولم تقعدا حتى قامت الحكومة اليابانية بالحكم على عشرين جندياً يابانياً بالإعدام. ولكن الحكم نفذ فى ١١ جندياً فقط حيث أُجبروا على الانتحار بطريق شق البطن (Seppuku) أو ما يطلق عليها أيضاً بطريقة الهاراكيرى Harakiri وهنا ظهرت العدالة الفرنسية متمثلة فى سلوك قائد الأسطول الفرنسى الذى اكتفى بهذا العدد من القتلى اليابانيين حيث تساوى عددهم بذلك مع القتلى من الجنود الفرنسيين، أما باقى المتهمين من الجنود اليابانيين فقد حكم عليهم بالنفى.

ولا نستطيع أن نمنع القارئ الكريم من إبداء دهشته لتطبيق العدالة الفرنسية الشهيرة بحذافيرها فى اليابان وعدم تطبيقها من خلال نابليون وخلفائه فى مصر عند قيامهم بحملتهم على مصر خلال السنوات التى قضتها الحملة الفرنسية من عام ١٧٩٨م - ١٨٠١م، فقد قام جنود الحملة بحرق قرى مصرية بأكملها إذا أبدت أى نوع من أنواع المقاومة، وليس ببعيد عن أذهاننا مدى العنف والقسوة التى قابل بها الفرنسيون القاهريين حال قيامهم بثورتى القاهرة الأولى والثانية ضد الاحتلال الفرنسى الكامل لمدينتهم.

وزاد الطين بله بالنسبة للحكومة الجديدة عندما قام أنصار طرد الأجانب من اليابانيين بمهاجمة القنصل الإنجليزى باركس، وكان فى طريقه لمقابلة الإمبراطور اليابانى وذلك فى ٣٠ فبراير، أى أن هذا الشهر شهد حادثين كبيرين للهجوم على الأجانب، فواجهت لذلك هجوماً عنيفاً ونقداً من الدول الأجنبية، مما جعل من مهمة إسقاط حكومة الباكفو أمراً مشكوكاً فيه بسبب افتقاد الحكومة الجديدة ثقة الأجانب لعدم تحكمها فى أمور البلاد الداخلية. ولذلك أقدمت الحكومة اليابانية الجديدة فى إصرار على إصدار المبادئ الخمسة حتى تظهر حسن نيتها نحو الأجانب، إلى جانب تحسين صورتها ببرواز الديمقراطية الذى أعلنته من خلال المبادئ الخمسة.

ولكن بعد يوم واحد من إصدار المبادئ الخمسة الأساسية أى فى يوم ١٥ مارس، أصدر ما يمكن تسميته الآن برئيس الوزراء (Daijokan) المنوعات الخمسة مكتوبة على لافتات علقت عند كل ناصية شارع فى كل أنحاء البلاد تقريباً.

وكانت هذه الممنوعات الخمسة تحاكي إلى حد كبير تلك السياسة التي طبقتها حكومة الباكفو البائدة، وإليك هذه الممنوعات:

- ١ - منع التجمعات والتكتلات.
- ٢ - منع استخدام العنف ضد الحكومة.
- ٣ - منع الفلاحين من الهروب من قراهم.
- ٤ - منع سكان المدن من هروبهم من مدنهم.
- ٥ - تحريم الديانة المسيحية.

ومن خلال هذه المحرمات الخمسة يبرز لنا الوجه الكئيب للحكومة الجديدة وهو على العكس تماماً من الوجه المتألق الجميل الذي رأيناه من خلال المبادئ الخمسة. وكأن الحكومة الجديدة استكثرت على الشعب الياباني أن يمارس الديمقراطية والحرية كما يمارسها المواطن الغربي. ولكن الحكومة عادت وصححت من مسارها بإصدار مرسوم آخر عرف باسم (سيتاى شو Seitaisho) بعد شهر واحد. وقد أعد مسودة هذا المرسوم فوكو أوكا تاكا تشيكا Fukuoka Takachika (١٨٣٥م - ١٩١٩م).

ومن خلال هذا المرسوم عملت الحكومة على تجسيد وتطبيق المبادئ الخمسة. فقامت باستحضار النموذج الأمريكي في تقسيم السلطات في البلاد إلى ثلاث سلطات وفصلها عن بعضها البعض. والسلطات الثلاث هي القضائية والتشريعية والتنفيذية. ولكن طبقاً لهذا المرسوم فقد احتكر النبلاء الوظائف المهمة في الدولة.

### ٣ - الحرب ضد فلول الباكفو:

ذكرنا فيما سبق كيف أن قلعة أيدو سلمت دون قتال لجيش الإمبراطور. ومن ثم وضعت مدينة أيدو تحت حكم الحكومة الجديدة، إلا أن هذا الوضع الجديد لم يعجب أتباع الباكفو الذين ظلوا على عدائهم للحكومة الجديدة. فما كان منهم إلا أن تركوا أيدو ليبدأوا حربهم من جديد ضد الحكومة الجديدة، ولم يكتفوا بذلك بل طالبوا العديد من المقاطعات الشرقية بمحاربة الحكومة الجديدة، والمقاطعة التي كانت ترفض طلبهم تواجه بحربهم لها. كذلك انضم إلى هؤلاء المحاربين الكثيرون من الفلاحين الذين كانوا يعانون من العديد من الضغوط الاقتصادية. وقد بلغ عدد المقاطعات التي انضمت إلى الحانقين على الحكومة الجديدة إلى ما يقرب من ثلاثين مقاطعة مما يدل على أن الأمور لم تكن سهلة تماماً أمام الحكومة الجديدة.

وقد تبلورت الحركة المناهضة للحكومة الجديدة فى شكل فرقة كبيرة أطلق عليها فرقة «شوجى تاي» تكونت فى فبراير ١٨٦٨م، وقد بلغ عدد هؤلاء المحاربين المناهضين للحكومة الجديدة نحو ٣ آلاف محارب عسكروا فى معبد كاننجى Kanei المبني على جبل تويظان Tōeizan الموجود فى منطقة أوينو، وظلت هذه الفرقة تناوش جيش الحكومة الجديدة الذى كان قد سيطر على قلعة ومدينة إيدو. ولكن جيش الإمبراطور لم يصبر طويلاً على هذه الفرقة فقام بالهجوم على جبل أوينو بقيادة أومورا ماسوجيرو Omura Masajiro (١٨٢٥م - ١٨٦٩م)، وهو القائد الغز الذى أسس الجيش البرى اليابانى الحديث، والذى طبق النظم الحربية الفرنسية على الجيش اليابانى. ووضع هذا القائد نهاية لفرقة المناهضين لجيش الإمبراطور فى يوم ١٥ مايو ١٨٦٨م عندما هاجمهم فى عقردارهم، وأجهز عليهم جميعاً تقريباً وذلك خلال يوم واحد فقط.

ولكن القضاء على فرقة «الشوجيتاي» لم يعن أن المقاومة ضد جيش الحكومة انتهت تماماً، ذلك لأن حركة المعارضة والمناهضة كانت قد اتسع مداها إلى مقاطعات وفرق أخرى. فقد تكون تحالف من عدة مقاطعات زاد على الثلاثين كان متمركزاً على مقاطعات منطقة أوو Ouu التى يدخل ضمن نطاقها مقاطعات دوا Dewa وفوكوشيما ومياجى Miyagi وإيواتى وأومورى وأكيتا وياماغاتا ومعهن إيتشى جو (محافظة نيباجاتا).

وقد بدأ هجوم جيش الحكومة الجديدة على هذا التحالف فى شهر يوليو (١٨٦٨م) وتوالى المعارك بين الطرفين وخاصة ضد مقاطعة أيزو Aizu (محافظة فوكوشيما). وقد أظهر تحالف المقاطعات ضد الحكومة الجديدة مقاومة شديدة لدرجة أن هذا التحالف أبدى رغبته فى إنشاء حكومة أخرى مستقلة تواجه الحكومة الجديدة التى قامت على أكتاف مقاطعتى ساتسوما وتشوشو. ولكن من بين المقاطعات المختلفة التى قاومت جيش الحكومة برزت مقاطعة أيزو، وذلك لأن حاكم هذه المقاطعة احتل موقعا بارزاً فى العاصمة كيوطو فى نهاية عصر الباكفو، مما جعل هذه المقاطعة تعتر بنفسها وتعد نفسها نداً لمقاطعتى ساتسوما وتشوشو. ولذلك بذل كل مواطنى هذه المقاطعة سواء أكانوا محاربين صغاراً أو كباراً والرجال والنساء أيضاً بذلوا جميعاً كل طاقة لديهم من أجل مقاومة جيش الإمبراطور، ولإبراز مدى قوتهم وسطوتهم، إلا أن قوة واستعداد الجيش الإمبراطورى وتسليحه بأحدث الأسلحة وكذلك العدد الكبير لجنود هذا الجيش أجبرت هذه المقاطعة وغيرها من المقاطعات

على التسليم فى نهاية شهر سبتمبر. وكانت المارك بين الجانبين على أشدها لدرجة أن أثار القصف الذى قام به جيش الحكومة ما يزال باقياً فى شكل العشرات من الفتحات فى قلعة واكاماتسو بمحافظة فوكوشيما.

وفى مارك الحكومة ضد مقاطعة أيزو اشتهرت فرقة الثعالب الصغيرة أو فرقة الغلمان (Byakkotai). فقد قسمت سلطات المقاطعة الفرق المحاربة إلى أربع ، وذلك حسب سن المشتركين من الجنود ، وكان أصغر هذه الفرق هى تلك الفرقة التى كان يتراوح سن جنودها ما بين ١٦ - ١٧ سنة ، وكان عددهم نحو ٣٥٠ جندياً. وفى إحدى المارك التى دارت فى أغسطس ١٨٦٨م اشترك ٣٧ جندياً صغيراً ، قتل منهم فى ميدان المعركة ١٧ جندياً ، أما الذين بقوا على قيد الحياة فكانو ٢٠ جندياً وهؤلاء انتحروا بعد المعركة بيوم واحد بسبب بأسهم من الانتصار ، ولم يبق على قيد الحياة من هؤلاء إلا فرد واحد. وقد ظل أهالى أيزو يبكون هؤلاء الغلمان مدة طويلة بعد ذلك.

ولم تكد الحكومة الجديدة تقضى على مقاومة مقاطعات الشمال الشرقى حتى واجهت خطراً آخر تمثل فى سعى قائد أسطول حكومة الباكفو أنى موطوتاكى أكي Enomoto Takeaki (١٨٣٦م - ١٩٠٨م) لتأسيس حكومة أخرى منفصلة ومستقلة عن الحكومة الجديدة ، وذلك فى جزيرة هوكايدو التى تبعد آلاف الكيلومترات عن العاصمة كيوطو. وفى أغسطس ١٨٦٨م قام إنوموتو ومعه القائدان أوطورى كيسوكى Ōtori Keisuke (١٨٣٢م - ١٩١١م) وهيجيكاتا طوشيظو Hijikata Toshizo (١٨٣٥م - ١٨٦٩م) بالهروب من إيدو إلى هوكايدو ومعهم العديد من أتباع الباكفو فى ثمانى سفن حربية كانت مملوكة لحكومة الباكفو. وفى هوكايدو استقروا فى مدينة هاكوداتى الساحلية وأسسوا بها نوعاً من الزراعة قائماً على النمط الغربى وأقاموا مصنعاً للحديد ومستشفى. ونصب إنوموتو نفسه حاكماً عاماً على هوكايدو وانفصل بها عن الحكومة المركزية ؛ بل إنه أقام نظاماً سياسياً أقرب إلى الشكل الجمهورى. وفى هذا النظام أنشأ عدة إدارات أو وزارات من أهمها وزارتا الجيش البحرى والبرى ووزارة لإستصلاح الأراضى والتنمية. وتعد هذه الخطوة هى أولى الخطوات من أجل استصلاح وتعمير جزيرة هوكايدو التى سارت على وتيرة واسعة فى السنوات التالية من عصر مييجى.

بالطبع لم تكن الحكومة الجديدة لتسكت على هذا الوضع فى هوكايدو لأن فى ذلك تقويماً لوحدة البلاد. ولكنها لم تستطع اتخاذ إجراء فورى نظراً لصعوبة إنفاذ حملة عسكرية

لإخضاع أنوموتو وأتباعه بسبب تراكم الجليد، فكان لابد من الانتظار حتى ربيع السنة التالية (١٨٦٩م) حتى يكون الجليد قد ذاب. وبالفعل أنفذت الحكومة حملتها إلى هوكايدو في مارس ١٨٦٩م التي رست بوارجها على ساحل هاكو داتى فى إبريل ١٨٦٩م. واستمرت الحرب بين جيش الإمبراطور وجيش إنوموتو لمدة شهر كامل. ولكن لم يستطع أنوموتو وجيشه الصمود أمام جيش الإمبراطور ولم يجد سوى أن يتحصن بقلعة جورويوكاكو الحصينة التي كانت قد أنشئت فى أواخر عهد الباكفو على النمط الغربى. إلا أن هذا أيضاً لم يحمه من جيش الحكومة القوى فسقطت فى النهاية هذه القلعة المنيعة فى شهر مايو لتنتهى بذلك حروب البوشين التي استمرت لنحو عام ونصف العام خاضت خلالها الحكومة الجديدة عدة حروب ضد المناوئين لها من أتباع الباكفو. وبذلك تهاوت أيضاً جمهورية أيزوتشى (هوكايدو) التي كان يحلم بتأسيسها إنيموتو فى الأرض الجديدة.

كان لحروب البوشين تأثيرها الواضح فى تأخير وحدة البلاد، فعلى الرغم من أن عاصمة الباكفو وقلعتها قد سلمت دون شرط أو قيد أو حتى إراقة نقطة دماء واحدة فإن هذه المعارك العديدة التي خاضتها الحكومة الجديدة أنهكتها اقتصادياً وعسكرياً وأنهكت أيضاً وبصورة أكثر عمقاً هذه المقاطعات التي حاربت ضدها ما أدى إلى التعميل فى إنهاء نظام المقاطعات ليحل محله نظام المحافظات كما سوف يأتى فيما بعد ذكره.

#### ٤- إجراءات جديدة جريئة:-

تميزت الفترة الأولى من عصر مييجى بقيام الحكومة الجديدة بعدة إجراءات قد لا نبالغ إذا وصفناها بأنها ثورية وجريئة فى الوقت ذاته وكان لاتخاذ هذه الإجراءات القتالية تأثيرها الواضح على شتى مناحى الحياة فى اليابان آنذاك.

#### ( أ ) نقل العاصمة:

ظلت كيوتو عاصمة اليابان لما يزيد على الألف عام، ولكن نظراً للتغيرات التي حدثت فى نهاية عهد الباكفو وبداية عهد جديد هو عهد مييجى، فكان لابد من التفكير فى نقل العاصمة من كيوتو إلى مكان آخر.

ومن أهم هذه التغيرات التي حدثت هى محاولة تقليد الغرب فى تطبيق الديمقراطية فى البلاد ومحاولة إدماج البلاط الإمبراطورى وجعله يقترب من المواطنين. ولأن كيوتو

ومنذ مئات السنين عرفت كمدينة للنبلاء، وهم فقط دون باقي أفراد الشعب كان لهم حق الاتصال بالإمبراطور وبالبلاط الإمبراطورى فكان ذلك يعنى عدم ديمقراطية العاصمة أو بالأحرى عدم شعبيتها. وكان أول من فكر فى نقل العاصمة من كيوطو إلى مدينة أخرى هو سياسى ساتسوما الشهير أوكويو طوشيميتشى ōkubo Toshimichi (١٨٣٠م - ١٨٧٨م)، ولكن كانت وجهة نظر أوكويو هي أن تنتقل العاصمة إلى مدينة أوساكا ذات الطابع الشعبى وقد تقدم بطلب للبلاط الإمبراطورى يوضح فيه وجهة نظره هذه فى فبراير ١٨٦٨م. ومن بين ما أوضحه أوكويو فى طلبه للإمبراطور أن هناك فجوة بين البلاط الإمبراطورى وبين الشعب، ومن أجل إذابة وإزالة هذه الفجوة فلا بد أن يقوم الإمبراطور بزيارة لمدينة أوساكا يتبع ذلك تغيير العاصمة من كيوطو إلى أوساكا. وإذا ما قام الإمبراطور بهذه الخطوة فسوف يكون من السهل القضاء على الباكفو ولكن ما حدث بعد ذلك أن سحب البساط من تحت أقدام أوساكا ليذهب إلى مدينة إدو، وفى يوليو ١٨٦٨م، تم تغيير اسم مدينة إدو إلى طوكيو أى العاصمة الشرقية، أى أنها أصبحت نداءً للعاصمة الغربية طوكيو.

وفى ٨ سبتمبر من العام نفسه تم تغيير التقويم اليابانى ليصبح عام ١٨٦٨م هو الأول من مييجى. وكذلك تم سن قانون يجعل فترة حكم الإمبراطور الواحد تقتصر على تقويم واحد فقط، وليس كما كان يحدث من قبل عندما كان التقويم يتغير لعدة أسباب يأتى من بينها تغيير الإمبراطور نفسه.

وفى العشرين من الشهر نفسه غادر الإمبراطور كيوطو ليصل فى ١٣ أكتوبر إلى طوكيو لتصبح هذه الزيارة بمثابة الإعداد للاعتراف بمكانة طوكيو الجديدة كعاصمة جديدة للبلاد، والذى سيتم بالفعل فى فبراير من العام التالى (١٨٦٩م) بعد أن تم نقل مقر الحكومة إليها وكان لنقل العاصمة إلى طوكيو هدفان: هدف استراتيجى وهدف رمزى. الأول هو كسب ود مواطنى المنطقة الشرقية (طوكيو وما حوالىها من مقاطعات) لصالح الحكومة الجديدة، حيث إن هؤلاء المواطنين ظلوا لمدة زادت على قرنين ونصف القرن قريبين من عائلة طوكوجاوا، وإلى جانب ذلك إخضاع المقاطعات الشمالية الشرقية التى أبدت مقاومة وكرامية واضحتين للحكومة الجديدة وهذا ما حدث بالفعل كما شرحنا من قبل.

أما الهدف الرمزى فهو أن العهد الجديد سوف ينتهج سياسة جديدة مغايرة للسياسات والعادات القديمة التى كانت سائدة لقرون طويلة مضت. فكان كيوطو هي العاصمة التى

ترمز للقديم وطوكيو هي العاصمة الجديدة التي ترمز لعهد جديد مغاير تماماً للعهد التي سبقت عصر مييجى وهذا بالفعل ما حدث وما سوف نلمسه فيما سوف يلي من حديث عن عصر مييجى وما تميز به من متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ، ولا يفوتنا هنا ذكر مظاهر الفرحة التي عمت المناطق التي مر بها الإمبراطور مييجى فى أثناء رحلته من كيوطو إلى طوكيو التي بلغت نحو أسبوعين. وقد بلغ عدد الحاشية والأتباع الذين صاحبوا الإمبراطور فى هذه الرحلة نحو ٢٣٠٠ شخص، وفى طريق الرحلة حرص الإمبراطور على مشاهدة الفلاحين وهم يقومون بحصاد الأرز والصيادين وهم يقومون بصيد الأسماك ليقف على معاناة الشعب وهو يقوم بأعماله اليومية، ولم يقتصر الأمر على التعاطف مع معاناة المواطنين، ولكنه قام أيضاً بإرسال معونات عينية ونقدية لهؤلاء الفلاحين الذين تأثروا من ويلات الحرب الأهلية. وبعد دخول الإمبراطور إلى قلعة أيدو وزعت كؤوس خمر الأرز على المواطنين الذين كانوا يتصايحون قائلين «أعطونا كؤوس الإمبراطور» وعمت مدينة طوكيو روحاً من البهجة لم تذوقها المدينة منذ فترة طويلة، وكان سكان المدينة يحاولون إزالة الكآبة والحزن اللذين ألما بهم بسبب حرب البوشين التي استمرت نحو عاماً ونصف العام.

وعلى الرغم من زيارة الإمبراطور لمدينة طوكيو، فإن الحكومة لم تجرؤ على إعلان انتقال العاصمة من مكانها القديم كيوطو إلى المكان الجديد طوكيو، وذلك لتوقعها حدوث معارضة شديدة من مواطني كيوطو ضد هذا الإجراء، ولم يعلن نقل العاصمة إلا بعد انتقال الإمبراطور من كيوطو إلى طوكيو فى المرة الثانية فى مارس ١٨٦٩م. وحتى انتقال الإمبراطور إلى طوكيو فى المرة الثالثة والأخيرة فى أكتوبر من العام نفسه وجدت فكرة انتقال العاصمة إلى طوكيو معارضة شديدة حتى من الإمبراطورة نفسها، إلا أنه فى هذه المرة أصبحت طوكيو هى المقر الدائم للإمبراطور، وبالتالى أصبحت عاصمة البلاد ولكن دون إعلان رسمى بذلك.

#### (ب) إعلاء كلمة الإمبراطور وتعظيم الحكم المركزى:-

مما لاشك فيه أن وضع الإمبراطور ومركزه بقيا فى الظل طوال فترة حكم أسرة الطوكوجاوا، وإن لم يمنع ذلك من احترام اليابانيين لشخص الإمبراطور من منطلق أنه سليل الإله الأمر الذى سوف يكون له أكبر الأثر فى استعادة سلطته بعد نهاية عصر الباكفو. ولكن ولكى يستعيد الإمبراطور هذه السلطة سواء أكانت روحية أم تنفيذية كان لابد من اتخاذ عدة

إجراءات كان أولها ما تحدثنا عنه سابقاً من سحب السلطات من الشوجون وإعادة سلطة الإمبراطور وذلك فى بداية عام ١٨٦٨م. ثم جاءت المبادئ الخمسة التى أعلنها الإمبراطور بعد الخطوة السابقة بشهرين فقط. وفى الشهر نفسه (مارس ١٨٦٨م) جاء إعلان فصل الشنتوية عن البوذية، وذلك لإعلاء الديانة الشنتوية على البوذية (Shinbuts Bunri). فقد اندمجت لدى اليابانيين صورتا إله الشنتوية (Kami) والذى يجسده الإمبراطور بإله البوذية (Hotoke) وذلك منذ مجيء البوذية لليابان منذ قرون عديدة. وهذا جعل اليابانيين ينسبون أن الإمبراطور هو سليل الإلهة اليابانية الأولى مما أفقده الكثير من مكانته القديمة. وفيما بعد عملت الدولة على ازدهار الشنتوية على حساب البوذية. وتلا ذلك تذكىة المعابد الشنتوية على مثلتها البوذية، بل اشتدت الحركة المعادية للبوذية وتمثلت فى قيام أعضائها بتحطيم التماثيل البوذية وحرق كتبها المقدسة، وتم إجبار الكثير من الرهبان البوذيين على ترك الرهينة والعودة للحياة العادية.

وكانت الصورة فى معبد كوفوكو (Kōfukuji) أكثر قتامة، فقد تحول رهبان هذا المعبد البوذى إلى خدام فى معبد كاسوجا تايشا الشنتوى فى مدينة نارا، ثم تمادى التهوين من أمر المعبد البوذى الشهير لدرجة أن برجه الشهير المكون من خمسة طوابق (Gojūnoto) بيع بخمسة وعشرين يناً فقط، وهكذا استمرت حملة معاداة البوذية (Hai Bustsu Kishaku) لعدة سنوات أخرى فيما بعد.

ثم كانت الخطوة التالية وهى إعادة الأرض (Han) والمواطنين (HansekiHokan) (seki) للإمبراطور، وذلك حتى يصبح الإمبراطور الحاكم الفعلى للبلاد فقد كان الوضع طوال عصر الطوكو جاوا من وجود مقاطعات عديدة تكاد تكون كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى لا يمكن أن تقوم على أساسه دولة موحدة، وبالتالي لم يكن لليابان أن تتمكن من إقامة دولة مركزية قوية كمثيلتها فى الغرب، ولذلك كان لابد من إلغاء نظام الدايميو ونظام المقاطعات وتوحيد البلاد كلها تحت إمرة الإمبراطور.

وفى الحقيقة يرجع الفضل فى خطوة إعادة التحكم فى أمور الأرض والمواطنين للإمبراطور إلى كيدو تاكايوشى، وذلك عندما تقدم باقتراح إلى أوكويوطوشيميشى فى سبتمبر ١٨٦٨م بهذا الأمر. وبالفعل أخذت المقاطعات الأربع المهمة وهى (كاجوشيما وياما جوتشى وطوساوساجا) أخذت زمام المبادرة فى إرجاع ما يتحكم فيه الدايميو وممتلكاته من أرض

وناس إلى الإمبراطور، وتقدموا مجتمعين بطلب للبلاط الإمبراطوري يفيد بهذا الأمر في يناير ١٨٦٩م ومع بداية شهر يوليو ١٨٦٩م كانت ٢٦٢ مقاطعة قد امتثلت لأمر إعادة الأرض والناس للإمبراطور Hokan (Hanseki) وكانت تلك الخطوة بمثابة التمهيد لإنهاء نظام المقاطعات الذى كان يعنى تقطيع أواصر الدولة الموحدة ثم صدر الأمر الإمبراطورى بأن يبقى حكام المقاطعات فى مناصبهم على أن تصبح تسميتهم محافظين للمقاطعات (Hanchiji). وبذلك أصبح حكام المقاطعات تابعين رسمياً للحكومة الجديدة كموظفين عموميين.

كانت الخطوة التى تحدثنا عنها تواءم تعتبر دون شك تعضيداً للدولة المركزية وتحسب فى ميزان الحكومة الجديدة إلا أنه وكما يقال «لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن» فقد نغص على الحكومة حدوث ثورات وهوجات الفلاحين، وكذلك حدوث كساد فى المحاصيل خاصة المحصول الرئيسى الأرز، فرغم مجيء الحكومة الجديدة وتغيير سياسة الدولة إلى حد كبير عما كان فى نهاية عهد الباكفو فإن الضرائب التى كان على الفلاح دفعها لم تقل، هذا إلى جانب أن الكساد مثل عبئاً كبيراً على الفلاح الذى منع طبقاً للقانون من إبداء تزمه وغضبه سواء باستعمال القوة أو بالتظاهرات مما أدى إلى انفجار الوضع والمشاعر. وحدثت لذلك عدة ثورات وهوجات فى مناطق مختلفة من البلاد وذلك فى عامى ١٨٦٩م و١٨٧٠م.

ففى منطقة تاكاياما بمحافظة جيفو Gifu ثار الفلاحون ومعهم أيضاً المدينون بسبب إلغاء محافظ المقاطعة لوعده قطعه على نفسه المحافظ السابق بتخفيض الضرائب إلى النصف بل إنه لجأ إلى فرض ضرائب جديدة مما أغضب جماهير المقاطعة كما أسلفنا، فلم تجد الحكومة بدءاً من أيقاف المحافظ عن العمل بل قامت بإلغاء جزء من الضرائب، وفى منطقة هارايما (محافظة هيوجو) قام العديد من سكان المقاطعات هناك بثورات وهوجات مما جعل الحكومة توافق على تخفيض الضرائب العينية إلى النصف.

ومن الملاحظ فى ثورة هارايما وغيرها من المناطق أن الاختلاف بين هوجات وثورات عامى ١٨٦٩م و١٨٧٠م وبين ما سبقها من ثورات هو أنها حدثت على نطاق واسع، وكذلك حدثت هذه الثورات بطريقة مباشرة ضد الحكومة. وهذا ما أقلق عُمَد الحكومة الجديدة وخاصة أوكوبوتوشيميتشى وأوكوما شيجى نوبو مما جعلهما يريان أنه لا بد من مواجهة هذه الثورات والهوجات بكل الحزم والصرامة حتى لو قتل ألف مواطن. وهذا الحزم وتلك

الصرامة طبقتهما الحكومة بالفعل في مواجهة العديد من الثورات لدرجة أن الحكومة قد استخدمت السيوف والبنادق من أجل إخماد ثورات الفلاحين. وتم نفي وإعدام العديد من قيادات هذه الثورات. ورغم ذلك لم يتلاش غضب الفلاحين والطبقات الدنيا وحنقهم من سكان المدينة.

ولم تقتصر الثورات والهوجات على الفلاحين وسكان المدن فقط ولكن تعدت ذلك إلى فرق المحاربين من الفرسان الجديدة التي تكونت من الساموراي والفلاحين وسكان المدن في مقاطعة تشوشو. هذه الفرق ثارت حينما صدر الأمر بحلها وإدماج جنودها في الجيش الحديث وكان ذلك في عام ١٨٦٩م. ولم يمثل جنود فرقة الفرسان لأوامر المقاطعة وهربوا من خدمة الجيش الجديد وأثاروا المتاعب في وجه الحكومة الجديدة بل قاموا بمهاجمة قلعة ياماغوتشي. ونظرا لاحتواء هذه الفرق على عدد كبير من الفلاحين وسكان المدن - على عكس ما كان يحدث في الماضي - فقد أظهرت هذه الفرق من الفرسان تعاطفاً وتعاوناً مع ثورات الفلاحين، ولكن مهما كانت قوة هؤلاء الفرسان فما كانوا ليستطيعوا مواجهة القوة الطاغية للحكومة الجديدة ولذلك فقد خارت قواهم أمام جيش الحكومة الذي قاده كيدوتاكايشي في عام ١٨٧٠م.

ولكن على الرغم من القضاء على فرقة الفرسان فإن تأثير هذه الفرقة جراء عصيانها الحكومة كان قد امتد إلى عدة فرق أخرى. وكانت نتيجة ذلك كله هروب ما يزيد على ألف ومائتي جندي من الخدمة في الجيش والحكم على ما يزيد على ٩٠ جندياً بالإعدام، والحكم بالطرده والنفي إلى الجزر النائية على ما يقرب من مائة وثلاثين من الفرسان الثائرين.

### (ج) إلغاء المقاطعات وإنشاء المحافظات: (Haihan Chiken)

ذكرنا فيما سلف عدة إجراءات قامت بها حكومة مييجي الجديدة من أجل تعضيد الحكم المركزي متمثلاً في الإمبراطور. ونعود ونذكر القارئ بها؛ فقد قامت الحكومة بالفصل بين الديانتين (الشتوية والبوذية) مؤكدة إعلاء كلمة الأولى على الثانية لأن الأولى تعنى عبادة الإمبراطور وأسلافه من الأباطرة. وقامت كذلك بإصدار الأمر بإعادة تحكم الإمبراطور في الأراضي وفي المواطنين (Hanseki Hokan) في يونيو عام ١٨٦٩م وفي العام نفسه قامت بإلغاء العديد من الألقاب القديمة المتعلقة بطبقة النبلاء ووحدتها في لقب واحد وهو كازوكو (Kazoku) بمعنى النبلاء، وفي نهاية العام تم إلغاء الألقاب الثلاثة: المزارعين والصناع

والتجار واندمجوا تحت لقب (العامه Heimim) بل لقد أدخلت الحكومة جزءاً من طبقة المحاربين (Shizoku) إلى طبقة العامة. وفي عام ١٨٧٠م تم الاعتراف والسماح لطبقة الهيمييين (العامه) باتخاذ لقب عائلي، فقد كان المتبع قبل ذلك ألا يسمح لهم بذلك إلا بتصريح خاص من الإقطاعي أو من سيد الناحية أو المنطقة ثم كانت الخطوة التالية والمهمة جداً وهي إلغاء المقاطعات وإنشاء المحافظات (Haihan Chiken) وقد تمت هذه الخطوة المهمة جداً من أجل إتمام عملية مركزية الدولة اليابانية في يوليو ١٨٧١م (٤ من ميغى) لتضم اليابان في البداية ثلاث محافظات كبرى هي طوكيو وكيوتو وأوساكا و٣٠٢ محافظتين عاديتين، وفي نهاية العام نفسه ضمت جزيرة هواكايدو إلى هذه المنظومة وتم تقليل عدد المحافظات من ٣٠٢ (وهو بالفعل رقم مبالغ فيه) إلى ٧٢ محافظة فقط وثلاث كبرى (Fu).

وكانت الثورات والهوجات التي اجتاحت مناطق عديدة من اليابان قد جعلت الحكومة المركزية تفكر بجدية في أمر إلغاء نظام المقاطعات الذي كان وجوده عقبة في سبيل تعضيد الحكم المركزي وبالتالي سهولة حدوث هذه الثورات وتلك الهوجات العنيفة. ولكن وبسبب خوف الحكومة من معارضة محافظي المقاطعات لهذه الخطوة فقد جمعت الحكومة الجديدة نحو عشرة آلاف جندي من المقاطعات الموالية لها في العاصمة الجديدة طوكيو وذلك منذ فبراير ١٨٧١م إلا أنه على الرغم من توقعات الحكومة الجديدة لم يظهر ولو محافظاً واحداً أو مقاطعة واحدة يعترضون على قرار إلغاء المقاطعات، فقد كانت المقاطعات قد أنهكت قواها بسبب الثورات والهوجات الكثيرة التي قام بها الفلاحون وسكان المدن على حد سواء. أما المحافظون فقد رحبوا بتلك الخطوة لأن ذلك كان معناه إعفاء المقاطعات من ديونها وإلقاء عبء هذه الديون على عاتق الحكومة الجديدة، هذا إلى جانب أن الحكومة الجديدة ضمنت لحكام المقاطعات القدامى ومحافظيها ما تدفعه لهم من مرتبات وعطايا وكذلك ضمنت لهم وضعهم النبيل في المجتمع، وعليه انتقل الكثير منهم للحياة بصفة مستديمة في طوكيو. وأصبح فيما بعد تعيين المحافظين يتم من العاصمة طوكيو وهكذا تمت هذه الخطوة المهمة بسلاسة ويسر لم تكن الحكومة تتوقعها.

#### ( د ) قوانين اجتماعية جريئة:

كان من أهم نتائج فرمان إعادة الأرض والمواطنين إلى حظيرة الإمبراطور (Hanseki Hokan) أن انفصمت عرى الوشائج بين حكام المقاطعات وأتباعهم من المحاربين وكانت

العلاقة بين الطرفين تمثل علاقة السيد والمسود، وبالتالي فقد كان لذلك الانقسام أكبر الأثر في اهتزاز بل تحطيم النظام الإقطاعي في البلاد.

وكما ذكرنا من قبل تغيرت مسميات بعض الطبقات، وألغيت ألقاب مثل الدايميو التي كانت قد عاشت بين اليابانيين لمئات السنين، وكذلك ألغيت ألقاب النبلاء من الطبقة العليا حتى اندمجا تحت مسمى جديد هو شيزوكو Shizoku وهو يعنى المحاربين أو العسكريين، وقد تم اتخاذ هذين الإجراءين في عام ١٨٦٩م. ثم توالى التغييرات والإجراءات الاجتماعية الجريئة طوال ما يزيد على عشرين عاماً، مما يدل على فاعلية ثورة ميغى الإصلاحية وحيويتها. ففي عام ١٨٧١م تم إعلان قانون أو فرمان التحرير (Kaihōrei) وطبقاً لهذا القانون تم إلغاء ألقاب أيتا وهينين (Eta - Hinin) أو بالأحرى طبقتا المنبوذين. وتم إدخالهما ضمن طبقة العامة (هيمين Heimin) وكانت هاتان الطبقتان تضم هؤلاء الناس من الطبقة الدنيا من المجتمع والذين كانوا يقومون مثلاً بالتخلص من الحيوانات النافقة كالبقر والأحصنة، أو الذين كانوا يستخدمون في القبض على المجرمين أو في تنفيذ أحكام الإعدام عليهم وكانت طبقة الهينين تضم الشحاذين. وكان إدماج طبقتي الأيتا والهينين في طبقة العامة (Heimin) يعنى إعطاءهم الحقوق والواجبات التي تتمتع بهما هذه الطبقة سواء أكان ذلك من ناحية الوضع الاجتماعي أم من ناحية التمتع بالحصول على مختلف الوظائف التي تتمتع بها طبقة العامة. ثم أصبح أيضاً من حق طبقة العامة الزواج من أية طبقة أخرى. وألغيت كذلك تلك الحقوق الجائرة الممنوحة لطبقة المحاربين بقتل أو جرح من يحلو لهم أو ممن يبدي عدم احترام لهم دون عقوبة توقع عليهم. واستطاع العامة من الناس لأول مرة اتخاذ ألقاب لهم ووضعها على لافتات تعلق على أبواب بيوتهم بعد أن كان ذلك غير مسموح للكثير منهم، والقليل الذي كان يستطيع ذلك كان لا بد له من تصريح خاص من سيد الناحية كما ذكرنا آنفاً. واستطاع العامة أيضاً ركوب الخيل وارتداء العبايات التقليدية التي تسمى الهاثوري والهاكاما Haori - Hakama.

وكما ذكرنا فقد تم إعطاء كل من طبقتي الهينين وايتا حقوق وواجبات طبقة العامة مع إلغاء هاتين الكلمتين اللتين تدلان على احتقار شديد لهؤلاء الناس المساكين، وذلك طبقاً لقانون التحرير. ولكن للأسف كانت هذه التغييرات مجرد كلام وحبر على ورق لا أقل ولا أكثر. فلم تتغير أحوال هاتين الطبقتين التعسيتين على صعيد العمل والتعليم والزواج

عما قبل قدر أنملة. بل كان من سخرية القدر لهؤلاء التعساء أن قامت بين الفلاحين فى غرب اليابان انتفاضات وهوجات عديدة بسبب معارضتهم الشديدة لتحرير هاتين الطبقتين وإعطائهما الحقوق والامتيازات التى تتمتع بهما باقى طبقات العامة الثلاث وهى المزارعون والصناع والتجار. وفى هذا وضح تماماً أنه ليس كل القوانين التى أصدرتها الحكومة الجديدة فى أوائل عهد مييجى تم تطبيقها بالفعل. وتشابه مع هذا القانون الخاص بإلغاء كل الفروق الاجتماعية بين سكان اليابان قانون آخر هو قانون منع البغاء الذى أصدر فى عام ١٨٧٢م، وبالتالى تحرير هؤلاء النسوة اللاتى كتب عليهن ممارسة هذه المهنة الوضيعة. ولكن هذا لم يحدث على أكمل وجه إلا بعد إلغاء التصريح بهذه المهنة تماماً فى عام ١٩٥٨م، أى بعد نحو ٨٥ عاماً من صدور القانون الأول. وهنا لا بد أن نسلم أن عادات وممارسات استمرت لمئات السنين تُمارس بشكل عادى تماماً بين اليابانيين من الصعب بل ربما من المستحيل أن تختفى ما بين ليلة وضحاها بمجرد إصدار قانون بمنعها من الحكومة. إلا أنه على الرغم من ذلك فإن العديد من الباحثين يأخذون على حكومة مييجى الجديدة عدم حزمها فى تطبيق هذه القوانين، وخاصة القانون الثانى الخاص بإلغاء الدعارة، ويستدلون على ذلك بما فعله محافظ طوكيو آنذاك وكان يدعى أوكوبو إيتشى أو Okubo Ichio (١٨١٧م - ١٨٨٨م) وذلك عندما أرسل خطابات إلى رؤساء المدن والأحياء فى العاصمة يعلمهم من خلالها أنه على الرغم من إلغاء التصريح للعاهرات بممارسة مهنتهن فإنهن يمكنهن ممارستها إذا رغبت فى ذلك إحداهن. وعليه أصبح من الممكن لصاحب الماخور أن يؤجر غرفة للعاهرة تمارس فيها مهنتها دون أن يلام على ذلك لأنه لا يدير هذه المهنة بنفسه ولكن يؤجر الغرف فقط لا غير. وبالطبع قد لا تكون هناك نساء يرغبن فى ممارسة هذه المهنة بمحض إرادتهن، إلا أن الفقر الذى كان ينتشر فى البلاد آنذاك وخاصة فى الريف كان يرغم بعض العائلات والأسر على بيع بناتهن واللاتى لم يكن أمامهن سوى ممارسة هذه المهنة وذلك بسبب التراخى فى تطبيق القانون بمثل هذا التصريح الذى قدمه محافظ طوكيو.

وعلى أية حال، ومهما كان هناك من نقاط ضعف فى قوانين تحرير الطبقات التعسة، وكذلك عدم تلاشى الصلاحيات والامتيازات التى كانت تتمتع بها طبقات أخرى مثل الساموراي والنبلاء اللتين كانت لهما علاقة بالبلاط الإمبراطورى، فإنه لا يستطيع حتى

المجحف أن ينكر أن تغيراً جذرياً حدث في المجتمع الياباني الذي استمر متجمداً على أوضاع إقطاعية شديدة التطرف لعشرات بل لمئات السنين وبسبب هذه التغيرات الجذرية فقد تم بالفعل قولاً وعملاً حل الإقطاع والعديد من أشكال النبالة.

وبالطبع لم تقتصر الإجراءات التي اتخذت من أجل إحداث ثورة اجتماعية على ما ذكرناه من تحرير الطبقات المطحونة والبائسة بل تعدت هذه الإجراءات لكي تمتد لتجريد طبقة الساموراي من أشكال التمييز التي كانت تجعلها في وضع أعلى من الطبقات الأخرى مثل امتلاكهم للسيوف. فصدر الأمر بحرمانهم من سيوفهم (Haitorei) في مارس ١٨٧٦م، وطبقاً لهذه القانون حرم على أي شخص باستثناء الجنود المشاركين في المواكب الإمبراطورية وجنود الجيش والشرطة حرم التلويح بامتلاك السيوف بين العامة.

ومن ضمن التغيرات الاجتماعية التي أقرتها حكومة مييجي الجديدة ولا يمكن إنكارها هو سماحها للمسيحية بالظهور علانية أو ما عرف بفك الحظر عن الديانة المسيحية (Kirisutokyo Kaikin). وكانت الديانة المسيحية ومعتنقوها من اليابانيين قد تعرضوا للتنكيل ولضغوط رهيبة من السلطات اليابانية على فترات متقطعة. كذلك تعرض معقلهم في منطقة أوراكامي بمدينة ناجا ساكي للاضطهاد وللقمع الشديدين لأربع مرات كبرى منذ عام ١٧٩٠م على يد حكومة الباكفو، وكانت آخر مرة في عام ١٨٦٧م أي في العام الأخير من عمر الباكفو ولكن هذه المرة الأخيرة من التنكيل بالمسيحيين اليابانيين أصبحت مشكلة دولية، حيث راح فيها الكثير من هؤلاء المساكين ضحايا التنكيل في السجون. هذا على الرغم من أن المسيحية قد شهدت انفتاحاً ونشاطاً منذ مجيء بيري وعقد المعاهدات مع الدول الغربية، ولذلك نرى أن أماكن مخصصة للأجانب وهم بالطبع معظمهم مسيحيون قد أنشئت في ناجاساكي وكذلك أقيمت كاتدرائية عظيمة في عام ١٨٦٤م في أوراكامي التي ذكرناها توأ، وعندما علم القرويون القاطنون بالقرب من هذه الكاتدرائية بأمر بنائها توافدوا عليها ولذلك أصبح عام ١٨٦٥م عاماً لانتعاش المسيحية من جديد. ولكن الغريب أنه عندما علمت السلطات بهذا الأمر استدعت الفلاحين الذين آمنوا بالمسيحية وقبضت عليهم. ثم قامت السلطات بعد ذلك بتوزيع هؤلاء المسيحيين على مختلف المقاطعات حتى لا تقوى شوكتهم. وعملت السلطات كذلك على وضع العراقيل والمضايقات في طريق المسيحية، وحاولت بكل الطرق كي تثني المؤمنين بالمسيحية على

الرجوع عن إيمانهم بها. وبذلك وقعت حكومة الباكفو في تناقض في سياستها بين تشجيعها للمسيحية ببناء كاتدرائية كبرى بأوراكامى واضطهاد المسيحيين كما رأينا لتكتمل بذلك حكومة الباكفو سلسلة تناقضاتها.

وكما مر علينا آنفاً فقد استمرت حكومة ميجى الإصلاحية في انتهاج سياسة الباكفو فى اضطهاد المسيحية، وكان من أول إجراءاتها هو منع التدين بالمسيحية فى مقابل اهتمامها بالكنفوشوسية وتعظيمها لها.

ولكن كان هناك عاملان أساسيان غيرا من اتجاه حكومة الإصلاح فى سبيل اعتراض طريق المسيحية فى اليابان، وهما: أولاً اعتراض قناصل ورؤساء البعثات الأجنبية الموجودة فى اليابان ضد هذه الإجراءات التعسفية تجاه المسيحية والمسيحيين، وثانياً: زيارة السياسى إيواكورا طوموى ومعه مجموعة من الساسة الشهيرين مثل أوكوبو وإيتو لأمرىكا عام ١٨٧٣م وما لاقوه من ضغوطات من أجل إفساح الطريق أمام المسيحية فى اليابان. وبذلك صدر قرار رفع الحظر عليها فى عام ١٨٧٣م. وعلى الرغم من صدور هذا القرار فإن حكومة ميجى ظلت تنظر بعين الريبة إلى المسيحية ومعتنقيها، وكان قرارها برفع الحظر على المسيحية فقط بسبب رغبتها فى الانتماء والولوج إلى المجتمع الدولى الحديث والمتقدم. وهكذا وقع قادة إصلاح ميجى أيضاً فى التناقض فى معاملتهم مع المسيحية والمسيحيين كما وقع قادة حكومة الباكفو فى تعاملاتهم مع الاثنيين. وبرغم دخول المسيحية لليابان منذ قرون طويلة فإنها حتى اليوم لا تحتل بين سكان اليابان سوى واحد بالمائة فقط، وربما يرجع هذا إلى مقاومتها من السلطات والمواطن العادى على السواء.

